**جامعة الملك سعود**
**كلية التربية**
**قسم الثقافة الإسلامية**
**مسار التفسير والحديث**

# تفسير سورة الرعد من (٧-١٢)

# المحاضرة الخامسة

جمع وإعداد
عزيزة العتيبي

إشراف
د. وفاء الزعاقي

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ٧ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ٨ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ٩ سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ١٠ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٖ ١١ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ١٢ ﴾ [الرعد: ٧-١٢].

قال تعالى:﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ٧﴾.

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: (الواو): عاطفة، والجملة بعدها معطوفة على قوله تعالى في الآية السابقة:( ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة .. )، فالذين كفروا هم عين أصحاب ضمير (يستعجلونك)، إنّما عدل من ضميرهم إلى اسم الموصول[١]:

١/ لزيادة تسجيل الكفر عليهم.

٢/ ولما يُومئ إليه اسم الموصول من تعليل صدور قولهم ذلك.

﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓ ﴾: (لولا) : حرف تحضيض[٢] بمعنى: هلَّا[٣]ومُرادهم بـ (الآية): أي: أمر خارق للعادة[٤]، والمعنى: هلَّا أنزل على محمد آية من ربه. يعنون: علامة وحجة له على نبوَّته[٥].

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞ﴾: (إنما): أداة حصر، والغرض منها: القصر، أي: إنما أنت يا محمد مُرسل لإنذار العباد، من بأس الله أن يحلَّ بهم على شركهم[٦].

﴿وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾: (هاد): قرأها الجمهور بحذف الياء وصلاً ووقفاً، وقرأها ابن كثير بزيادة ياء حال الوقف عليها فقط ( هادي) [٧].

والمعنى:: لكل قوم إمام يأتمون به، وهادٍ يتقدمهم، فيهديهم إما إلى خير، وإما إلى شر.

---

(١) ينظر: فتح القدير ( ٢/ ٦٨)، التحرير والتنوير ( ١٣/ ٩٤).

(٢) التحرير والتنوير ( ١٣ / ٩٤ ).

(٣) زاد المسير ( ٢ / ٤٨٣ ).

(٤) التحرير والتنوير ( ١٣ / ٩٤ ).

(٥) تفسير الطبري ( ١٣ / ٤٣٧ ).

(٦) ينظر: تفسير الطبري ( ١٣ / ٤٣٧ )، التحرير والتنوير ( ١٣ / ٩٥ ).

(٧) على قاعدته في ( الوقف على المرسوم) ينظر: النشر في القراءات العشر ( ٢/ ٢٩٧).

**وقد اختلف في معنى (هاد) على أقوال:**

**الأول**: أن الهادي: رسول الله صلّى الله عليه وسلم، قاله عكرمة، وغيره.

**الثاني**: أن المراد بالهادي: الله عزّ وجلّ، قاله: ابن عباس، وغيره.

**الثالث**: أن الهادي في هذا الموضع معناه: نبي، قاله: مجاهد، وغيره.

فالمعنى: ولكل قوم نبيٌّ ينذرهم.

**الرابع**: أن الهاديَ: القائدُ إلى الخير أو إلى الشر، قاله: أبو صالح عن ابن عباس.

**الخامس**: أن الهادي: علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– روي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

**السادس**: أن الهادي: الداعي، قاله: ابن عباس، وغيره[1].

**قلتُ**: كل المعاني يصح حمل الآية عليها، وهذا من قبيل اختلاف التنوع.

قال الإمام الطبري –رحمه الله–: وقد بينت معنى الهداية، وأنه الإمام المتبع الذي يقدُم القوم. فإذ كان ذلك كذلك، فجائز أن يكون ذلك هو الله، الذي يهدي خلَقه، ويتَّبع خلقُه هداه، ويأتمون بأمره ونهيه، وجائز أن يكون نَبِيَّ الله الذي تأتمُّ به أمته، وجائز أن يكون إمامًا من الأئمة يُؤْتَمّ به، ويتّبع منهاجَه وطريقته أصحابُه، وجائزٌ أن يكون داعيًا من الدعاة إلى خيرٍ أو شرٍّ، وإذ كان ذلك كذلك، فلا قول أولى في ذلك بالصواب، من أن يقال كما قال جل ثناؤه: إن محمدًا هو المنذر من أرسل إليه بالإنذار، وإن لكل قوم هاديًا يهديهم، فيتّبعونه ويأتمُّون به"[2].

---

(١) تفسير الطبري ( ١٣ / ٤٣٧-٤٤٣ )، النكت والعيون ( ٣ / ٩٦ )، زاد المسير ( ٤ / ٣٠٧ ).

(٢) تفسير الطبري ( ١٣ / ٤٤٣ ).

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ٨ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ٩ ﴾.

**مناسبة هذه الآيات لما قبلها:**

لما قامت البراهين العديدة في الآيات السابقة على وحدانية الله تعالى بالخلق والتدبير، وعظيم قدرته التي أودع بها في المخلوقات دقائق الخلقة، انتقل الكلام إلى إثبات العلم له تعالى، علماً عاماً بدقائق الأشياء وعظائمها، ولذلك جاء افتتاحه على الأسلوب الذي افتتح به الغرض السابق بأن ابتدئ باسم الجلالة، كما ابتدئ به هنالك في قوله : ( اللّهُ الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها)، وجُعلت هذه الجملة في هذا الموقع لأن لها مناسبة بقولهم: (لولا أنزل عليه آية من ربه)، فإن ما ذكر فيها من علم الله وعظيم صنعه صالح لأن يكون دليلاً على أنه لا يعجزه الإتيان بما اقترحوا من الآيات؛ ولكن بعثة الرسول ﷺ ليس المقصد منها المنازعات بل هي دعوة للنظر في الأدلة [1].

﴿ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ ... ﴾: جملة مستأنفة[2]، وعليه يكون (الله) مبتدأ ، وقوله: ( يعلم ما تحمل...) خبره.

﴿مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾: (ما) : قيل في تحديدها ثلاثة أقوال، وكلها جائزة[3]:

**الأول:** أنها موصولة، أي: (يعلم الذي تحمله كل أنثى في بطنها، من علقة أو مضغة، ذكراً كان أو أنثى، شقي أو سعيد، تامّ أو ناقص، حسن أو قبيح، ...الخ ).

**الثاني:** أنها استفهامية، أي: (يعلم أيَّ شيءٍ في بطنها، وعلى أيّ حالٍ هو ؟! ).

**الثالث:** أنها مصدرية، أي: (يعلم حملها ).

﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ﴾: (ما) : تحتمل الثلاثة الوجوه المتقدمة في (ما تحمل كل أنثى).

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير ( ١٣/ ٩٦)، وانظر: المحرر الوجيز ( ٣ / ٢٩٨ ).

(٢) الكشاف ( ٢ / ٥١٥ )، فتح القدير ( ٢ / ٦٨ )، فتح البيان في مقاصد القرآن ( ٧ / ٢٣ )، محاسن التأويل ( ٩ / ٣٦٤٩ ).

(٣) ينظر: فتح القدير –الموضع السابق-. وانظر أيضاً: مدارك التنزيل ( ٢ / ٥٣٩ )، محاسن التأويل ( ٩ / ٣٦٥٠ )، وغيرها.

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾: (الواو) : عاطفة، والجملة بعده معطوفة على قوله: ( يعلم ما تحمل كل أنثى).

(كل شيء) مبتدأ ، وعليه :

١/ يجوز أن يكون ( عنده) خبره، و(بمقدار) في موضع الحال من (كل شيء).

٢/ ويجوز أن يكون ( عنده) في موضع الحال من (مقدار)، ويكون (بمقدار) خبراً عن (كل شيء)[١].

**والمعنى**: أن الله سبحانه وتعالى يعلم ما تنقص الأرحام من حملها في الأشهر التسعة، بإرسالها دم المحيض، وما تزداد في حملها على الأشهر التسعة، لتمام ما نقص من الحمل في الأشهر التسعة، بإرسالها دم المحيض، وكل ذلك لا يجاوز شيء من قدره عن تقديره، ولا يقصر أمر أراده فدبره عن تدبيره، كما لا يزداد حمل أنثى على ما قدر له من الحمل، ولا يقصر عما حد له من القدر[٢].

﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾: أي: أن الله سبحانه وتعالى عالم ما غاب عنكم وعن أبصاركم فلم تروه، وما شاهدتموه فعاينتم بأبصاركم، لا يخفى عليه شيء؛ لأنهم خلقه وتدبيره.

﴿ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾: أي: أن الله سبحانه وتعالى الكبير الذي كل شيء دونه، والمستعلي على كل شيء بقدرته[٣].

---

(١) فتح القدير –الموضع السابق–.

(٢) تفسير الطبري ( ١٣ / ٤٤٤ ).

(٣) انظر: تفسير الطبري ( ١٣ / ٤٥٢ ).

**قال تعالى:** ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ ﴾.

لما ذكر سبحانه أنه يعلم تلك المغيبات لا يغادره شيء منها، بيَّن أنه عالم بما يسرونه في أنفسهم وما يجهرون به لغيره، وأن ذلك لا يتفاوت عنده[١].

﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ ﴾:

(سواء): اسم بمعنى (مستوٍ)، وإنّما يقع معناه بين شيئين فصاعداً.

وموقعه هنا : مبتدأ، و(من أسرّ القول): فاعل سدّ مسدّ الخبر[٢]، وقوله: (منكم ) متعلقُ بـــ (سواء)، على معنى (يستوي منكم) من أسر ومن جهر[٣].

﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾: المستخفي بالليل: الظاهر، والسَّارب: المستتر المتواري[٤].

**والمعنى:** مستوٍ عند الله الذي أسرَّ القول من الناس، والذي جهر به، ومن هو مستخف بالليل في ظلمته بمعصية الله، ومن هو كذلك ظاهر بالنهار في ضوئه، لا يخفى عليه شيء من ذلك، سواء عنده سِرُّ خلقه وعلانيتهم؛ لأنه لا يَسْتَسِرُّ عنده شيء ولا يخفى[٥].

---

(١) ينظر: فتح القدير –الموضع السابق–

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ( ١٣/ ٩٩).

(٣) ينظر: فتح القدير ( ٢/ ٦٩).

(٤) انظر: تفسير الطبري ( ١٣ / ٤٧٢ )، زاد المسير ( ٢ / ٤٨٥ )، الجامع لأحكام القرآن ( ١٢ / ٢٥ ).

(٥) تفسير الطبري ( ١٣ / ٤٥٣ ).

قال تعالى:﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٖ ١١﴾.

﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾

**اختلف في المراد بـ ( المعقبات) على قولين:**

**الأول:** المراد بالمعقبات الملائكة، وعليه: يكون الضمير في قوله:(له) راجع إلى الله المذكور في قوله:(عالم الغيب).

**الثاني:** المراد بالمعقبات الحرس الذي يتعاقب على الأمير، وعليه: يكون الضمير في قوله:(له) راجع إلى قوله:(ومن هو مستخف بالليل) [1].

وهذا القول رجحه ابن جرير الطبري –رحمه الله– وذلك؛ لأن قوله:﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ﴾ أقرب إلى قول: ﴿وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ﴾ منه إلى:﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾؛ فهي لقربها منه أولى بأن تكون من ذكره، مع دلالة قوله:﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ﴾[2].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ( ١٣ / ٤٥٦-٤٦٠ )، زاد المسير ( ٢ / ٤٨٦ )، مفاتيح الغيب ( ١٣/ ١٦) ، فتح القدير –الموضع السابق–

(٢) ينظر: تفسير الطبري ( ١٣ / ٤٦٢ )، وقد استبعد الطبري– رحمه الله– قول ابن زيد في جعل الهاء في قوله:﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ﴾ راجع للنبي صلى الله عليه وسلم. وقال:" وهذا تأويل بعيد من تأويل الآية، مع خلافه أقوال أهل التأويل".

**واختلف في معنى (من أمر الله):**

١- إذا كان المراد بالمعقبات الملائكة فإن معنى:(من أمر الله) فيه قولان:

أ- أن حفظها إياه من أمر الله[١].

ب- وقيل: يحفظونه بأمر الله[٢].

٢- وإذا كان المراد بالمعقبات الحرس من بني آدم ففيه قولان:

أ- يحفظونه من أمر الله. أي: عقوبة الله.

ب- يحفظونه من أمر الله، وأمر الله الجن ومن يبغى أذاه ومكروهه قبل مجيء قضاء الله، فإذا جاء قضاؤه خلَّوا بينه وبينه[٣].

**﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾:**

جملة معترضة بين الجمل المتقدمة المسوقة، للاستدلال على عظيم قدرة الله تعالى وعلمه بمصنوعاته، وبين التذكير بقوة قدرته، وبين جملة (هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً). والمقصود تحذيرهم من الإصرار على الشّرك، بتحذيرهم من حلول العقاب في الدنيا، في مقابلة استعجالهم بالسيئة قبل الحسنة، ذلك أنهم كانوا في نعمة من العيش فبطروا النعمة وقابلوا دعوة الرسول بالهزء، وعاملوا المؤمنين بالتّحقير، فذكرهم الله بنعمته عليهم ونبههم إلى أنّ زوالها لا يكون إلاّ بسبب أعمالهم السيّئة بعد ما أنذرهم ودعاهم[٤].

( إن الله لا يغير ما بقوم ): التغيير هو التبديل بالمغاير، أي: لا يُبدِّل حال قومٍ ويُغيّر ما هم فيه من النعم، (حتى يغيروا ما بأنفسهم ) : من طاعة الله، وإظهار المعاصي والفساد[٥].

**والمعنى**: إن الله لا يغير ما بقوم من عافية ونعمة، فيزيل ذلك عنهم ويهلكهم، حتى يغيروا ما بأنفسهم من ذلك، بظلم بعضهم بعضًا، واعتداء بعضهم على بعض، فَيُحِلَّ بهم حينئذ عقوبته وتغييره[٦].

---

(١) تفسير الطبري ( ١٣ / ٤٦٣ ).

(٢) تفسير الطبري ( ١٣ / ٤٦٤ ).

(٣) ينظر: تفسير الطبري ( ١٣ / ٤٦٥ ).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير ( ١٣/ ١٠١- ١٠٢).

(٥) فتح القدير –الموضع السابق-

(٦) تفسير الطبري ( ١٣ / ٤٧١ ).

﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ﴾: أي: إذا أراد الله بهؤلاء الذين يستخفون بالليل، ويسربون بالنهار، لهم جند ومنعة من بين أيديهم ومن خلفهم، يحفظونهم من أمر الله، هلاكًا وخزيًا في عاجل الدنيا، فلا يقدر على ردّ ذلك عنهم أحدٌ غيرُ الله.

﴿وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٖ﴾: أي: وما لهؤلاء القوم من والٍ يليهم، ويَلِي أمرهم وعقوبتهم[١].

(وال) : مثل (هاد) ، قرأها الجمهور بحذف الياء وصلاً ووقفاً، وقرأها ابن كثير بزيادة ياء حال الوقف عليها فقط ( والي).

**قال تعالى:﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ١٢﴾.**

**مناسبة هذه الآيات لما قبلها :**

لما خوف العباد بإنزال ما لا مردّ له، أتبعه بذكر هذه الآيات، وهي مشتملة على أمور ثلاثة، البرق والرعد والصواعق، وذلك لأنها دلائل على قدرة الله تعالى وحكمته، وأنها تشبه النعم والإحسان من بعض الوجوه ، وتشبه العذاب والقهر من بعض الوجوه[٢].

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ﴾: جاء هنا الخطاب على أسلوب ( سواءٌ منكم من أسر القول ..) ، لأن الخوف والطمع يصدران من المؤمنين، ويُهدّد بهما الكفرة[٣].

﴿خَوۡفٗا وَطَمَعٗا﴾ مصدران بمعنى التخويف والإطماع، **والمعنى:** خوفاً للمسافر من أذاه، وطمعاً للمقيم أن يمطر فينتفع[٤].

---

(١) تفسير الطبري ( ١٣ / ٤٧١ ).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب ( ١٩/ ٢٤).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير ( ١٣/ ١٠٣).

(٤) تفسير الطبري ( ١٣ / ٤٧٥ ).

﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾: ( السّحاب ) : اسم جنس، والواحدة سحابة[١].

**والمعنى**: يثير السحاب الثّقال بالمطر، ويُبْدِئُه[٢].

**من هدايات الآيات:**

١- سعة علم تعالى بما في ظلمة الرحم، فهو يعلم أمر النطفة الواقعة في الرحم، وصَيْرُورتها إلى تخليق ذكر أو أنثى، وصحته واعتلاله، ورزقه وأجله، وشقي أم سعيد، فعلمه بها عام شامل.

٢- عظيم عناية الله ببني آدم.

٣- أن الله تعالى يغير حال العبد إلى الأفضل متى ما رأى منه اتباعاً لأسباب الهداية، فهداية التوفيق منوطة باتباع هداية البيان.

---

(١) انظر: مدارك التنزيل ( ٢ / ٥٤٠ )، فتح القدير –الموضع السابق–، التحرير والتنوير –الموضع السابق– وغيرهم.

(٢) انظر: تفسير الطبري ( ١٣ / ٤٧٥ ).